الفن و الوظيفة العلاجية لأطفال مرضى التوحد

Art and the therapeutic function of children with autism

د.دحو محمد أمين

جامعة ابي بكر بلقايد –تلمسان–، الجزائر–dahouamine1988@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/07/14 تاريخ القبول: 2023/12/29 تاريخ النشر : 2024/01/26

الملخص:

هـدف هـذه الدراسـة معرفـة مـدى اهميـة العـلاج بـالفن علـى أطفـال مرضـى التوحـد و وصـفه كمـادة علاجيـة. حيـث أظهـرت نتـائج عـدة دراسـات أقيمـت للأطفـال تحسـن فـي بعـض المهـارات اللغويـة و اكتسـاب مفـردات جديـدة، و حسـن الامسـاك بالأشـياء، و هـذا مـا سـاعدهم علـى اكتسـاب بعـض المهـارات الحركيـة و العضـلية الـدقيق، و التقليـل مـن الانفعـال و زيـادة الانتبـاه و التركيـز. كمـا يعتبر الفن وسيلة للتعبير عن المشاعر و الأحاسيس المكبوتة.

الكلمات المفتاحية: التوحد– الفن –الأطفال– التعبير–العلاج

Abstract:

The aim of this study is to find out how important art therapy is for children with autism and prescribe it as a treatment substance. As the results of several studies carried out for children showed improvement in some language skills, acquisition of new vocabulary, and good grasping of things, this helped them to acquire some fine motor and muscular skills, reduced emotion and increased attention and focus. Art is also a way to express pent-up feelings and feelings.

Key words: Autism- the art- children- Expression- treatment

1. مقدمة:

مما لا شك فيه أن للفن مكانة رفيعة على غرار عناصر الحياة الأخرى، و ذلك لما فيه من قيم و معاني، فهو يعتبر أقدم الوسائل التعبيرية و العلاجية التي استخدمها الانسان لعلاج الاضطرابات السلوكية للأطفال بهدف اللجوء لتحقيق الراحة النفسية، و من بين هذه الاضطرابات التي أثارت الجدل بين علماء النفس و التربية مرض التوحد الذي يعتبر من أكثر الاضطرابات السلوكية صعوبة، و أشعارا بين الأطفال حيث يتصدر قائمة الأمراض العقلية في الجزائر بحوالي 500 ألف طفل مصاب خلال العام الفارط و تبقى بعض الحالات غير مصرح بها.

فهو من الأمراض التي تظهر خلال الثلاث سنوات الأولى من عمر الطفل، كما تجدهم يفتقرون لبعض المهارات الحياتية منها مهارة التواصل، المهارة الأكاديمية، مهارة حل المشكلات، المهارة الحركية العضلية، و لهذا وجب عملية التدخل المبكر للتقليل من حدة هذا المرض، و من بين العلاجات الحديثة التي لفتت انتباه الأطباء، العلاج بالفن الذي كان بدايته الأولى مع فريد.

و من هذا المنطلق هل يمكن للفن أن يكون إحدى الطرق الفعالة لعلاج التوحد؟ كيف كانت بدايات العلاج بالفن و كيف ساهم في التخفيف من حدة هذا المرض؟

1-في مفهوم التوحد:

يعـود أصـل مصـلح التوحـد إلـى الكلمـة الإغريقيـة autos و هـي تعنـي الـنفس و الـذات، Ism بمعنـى الحالـة الغيـر السـوية، و مـن هنـا يـأني المعـى حلـة الـنفس الغيـر السوية.

و جـاء فـي معجـم الطـب النفسـي، بمعنـى الذاتويـة، التوحـد، ....تقـدر نسـبة حدوثـه مـن 2 إلـى 5 لكـل 10 آلـف طفـل تحـت 12 سـنة، حيـث تبـدأ مظـاهره قبـل 36 شـهر و أهـم علاماتـه العزلـة، صـعوبة التواصـل مـع الغيـر، الاضـراب السـلوكي بـالتكرار، و عدم الاستجابة للمؤثرات المحيطية (لطفي الشربيني، دت، 15).

كمـا تعرفـه الجمعيـة الأمريكيـة للتوحـد بأنـه " نـوع مـن أنـواع الاضـربات المتطـورة تظهـر خـلال ثلاثـة سـنوات الأولـى مـن عمـر الطفـل.....فتؤثر علـى مختلـف نـواحي النمـو، فتجعـل مـن عمليـة التواصـل الاجتمـاعي صـعبا سـواء اللفظـي أو غيـر اللفظي(فهـد بـن محمد المغلوث، 2006، 14).

إن علاقـة الفـن بـالعلوم ليسـت وليـدة الصـدفة، بـل أصـبح فـي وقتنـا الـراهن إحـدى الطـرق العلاجيـة التـي سـاهمت فـي إخـراج فئـة ذوي الاحتياجـات الخاصـة مـن دائـرة الاقصاء و الاهمال.

2-البدايات الأولى للعلاج بالفن:

كـان للفـن منـذ العصـور القديمـة وظيفـة نفعيـة، فهـو أداة تواصـل و تعبيـر عـن الذات، و وسيلة فعالة في تنمية المهارات و الأفكار.

مـع نهايـة القـرن العشـرين لاحـظ عـدد مـن الأطبـاء أن الأشـخاص الـذين يعـانون مـن أمـراض عقليـة غاليـا مـا يعبـرون عـن أنفسـهم مـن خـلال الرسـومات و الأعمـال الفنيـة،

مما قاد العديد لاكتشاف إمكانية استخدام الفن كتقنية علاجية(فاتن محمد المومني، 2007، 127).

بدأ العلاج بالفن منذ مطلع عام 1900 عندما بدأ استخدامه مع الاطفال عن طريق FRANZ CIZEK حيث كان يؤمن أن الأطفال بإمكانهم التعبير أكثر عن طريق التعبير الحر باستخدام الفن، و قد قام بتنظيم أول معرض للأطفال سنة 1908، ثم تطور العمل في عام 1922، عندما دخل ميدان علم النفس عن طريق Francis Reitman و Erich Gutmann اللذان أجروا العديد من البحوث حول فاعلية الفن عن الكبار.

كما قام صاحب المدرسة النفسية فريد برصد الخصائص المرضية من خلال تحليل أعمال بعض الفنانين، حيث ركز على القيم التعبيرية التنفسية للفن التي لها أن تحرر اللاشعور، و لكن ما فريد لم يتعمق في دراسته لأهمية العلاج بالفن بعكس ما قدمه عالم النفس يونغ Yung، حيث كان مولعا بالفن، و شجع على التعبير به(اجلال محمد السري، 2000، 264)، كما تعد مارجريت نومبروج صاحبة أول مدرسة للعلاج النفسي بالفن، و أطلقت عليها اسم مدرسة و الدين سنة 1915.

من خلال هذه الشخصيات يمكن القول أن العلاج بالفن بدا على يد فريد، و قامت نومبرويج بالاستفادة من الأبحاث السابقة في علم النفس و تقديم اسهامات في مجال العلاج و الارشاد الفني النفسي.

3-أسس العلاج بالفن:

تستند نشأة العلاج بالفن إلى مجموعة من الأسس حددتها نومبروج على النحو الآتي:

1/إن مشاعر الأفكار اللاشعورية يسهل التعبير عنها تلقائيا في صورة أكثر مما يعبر عنها في الكلمات.

2/إن إسقاط الفرد لصراعاته الداخلية في صورة بصرية لا تحتاج إلى مهارة او تدريب فني.

3/إن التعبير الفني المنتج في العلاج بالفن يجسد المواد اللاشعورية مثل الأحلام و الصراعات و الذكريات الطفولية و المخاوف.

4/يعمل الفن على اسقاط المخاوف الداخلية في صورة بصرية على بلورتها في شكل ملموس ثابت لا يقاوم النسيان، و يكون دليل على انطلاق الصراعات اللاشعورية، فيبدأ المريض بالانفصال عن صراعاته، فيكون قادرا على فحص مشاكله بموضوعية متزايدة.

5/يؤدي شرح المريض لإنتاجية الفني لفظيا إلى التداعي الحر حول إسقاطاته الفنية مما يزيد قدرته على التعبير اللفظي خاصة لدى الذين يجدون صعوبة في التعبير عن انفسهم لفظيا(آمنة زايد اللصاصمة، 2014، 65).

4-المهارات المستهدفة من خلال العلاج بالفن لفئة التوحد:

هناك مجموعة من الخصائص التي ينفرد بها الطفل التوحدي عن غيره من الاطفال، حيث سعى العديد من الباحثين من أجل التخفيف من حدة بعض السلوكات و تعديلها عن طريق برامج تدريبية معتمدة على أنشطة فنية، و من أهم المهارات التي يسعى الفن لتحسينها:

4-1/المهارات الاجتماعية:

عرف **أرجبراس** المهارات الاجتماعية: "على أنها السلوكات التي تسهم في جعل الفرد فعالا كجزء من جماعة أكبر، و شملت هذه السلوكيات التواصل مع الآخرين، التفهم، إظهار الاهتمام بالطرف الآخر و التعاطف معهم" في حين يرى **ريـن ماركن** بأن المهارات الاجتماعية هي حصيلة الفرد من السلوكيات اللفظية و غير اللفظية و التي يستطيع الفرد بواسطتها التأثير في استجابات الآخرين(بوجلال سعيد، 2008-2009، 32).

توصل الباحث سحر ربيع أحمد عبد الموجود من خلال دراسة بعنوان "فاعلية برنامج تدريبي لتنمية بعض المهارات الاجتماعية و خفض سلوك إيذاء الذات لدى الأطفال المتوحدين"، إلى تنمية بعض المهارات الاجتماعية لدى الأطفال المتوحدين، حيث اخذ عينة من 12 طفل تراوحت أعمارهم من 4-7 سنوات، مقسما إياها إلى مجموعتين، فأسفرت الدراسة بعد استخدام المنهج التجربي على اهمية استخدام الانشطة الفنية كالرسم و اللعب و الموسيقى و المسرح في تحسين المهارات الاجتماعية و تخفيف من سلوك إيذاء الذات لدى الأطفال المتوحدين.

4-2/المهارات اللغوية:

هي عملية مشاركة تجارب و علاقات مع الآخرين و مع البيئة الخارجية، و التي تتم عن طريق أفعال اتصالية رمزية تكون إما شفهية مثل الكلام أو غير شفهية مثل الإيماءات و حركات الجسم المختلفة.

حيث توصلت ربا الفاضل من خلال دراسة بعنوان "فاعلية برنامج تدريبي باستخدام اللعب في تنمية بعض المهارات للتواصل اللغوي لدى أطفال اضطراب التوحد" إلى وجود فوارق بين الاطفال، وجب استخدام أنشطة اللعب المتمثلة في الرسم و

التشكيل و اللعب بالدمى لكي تساعد الطفل التوحدي في تنمية التواصل اللغوي لديه.

كما يجدر الذكر أن هناك مهارات أخرى كالمهارات الحركية، المعرفية، أيضا أثبتت الأبحاث و الدراسات إلى فاعلية علاج اضراب التوحد بالفن لدى فئات عمرية مختلفة من حيث الجنس و في شتى المجتمعات.حيث استطاع الفن أن يمنح لطفل التوحدي تعديل سلوكاته الاجتماعية و البدنية و الانفعالية و الغوية .

5-أهمية ممارسة الفن بالنسبة لفئة التوحد:

يمكن تلخيص أهمية ممارسة الفن لدى الأطفال المتوحدين من خلال النقاط الآتية:

5-1/الاتصال بالبيئة: فممارسة الفرد الذي فقد بعض وسائل التفاهم للفن، حيث يجد صعوبة في ربط الصلة بينه و بين الآخرين،يجعل من هذاالفن هو وسيلة لتنشيط اهتمام الفرد بالبيئة، و توثيق علاقته به(شيماء أحمد عبد الغني، 2012، 624).

5-2/تحقيق التوازن الانفعالي: السماح للطفل التوحدي بممارسة الأنشطة هو سماح له بأن يكون عضوا مؤثرا في بيئته من خلال ما تتضمنه لأعماله الفنية.

5-3/توظيف العمليات العقلية: أن ممارسة الفن له تاثير إيجابي على أطفال التوحد، من حيث توظيف العمليات العقلية كالملاحظة و الانتباه و الاحساس و الادراك و الاختيار و القدرة على فهم المعلومات البصرية و كل هذا التوظيف مع القدرة الإفادة منها.

5-4/تنمية الحواس: لممارسة الفن تأثيرها الإيجابي على تنمية الحواس، فهي تتيح لها فرصة كبيرة لتناول الخامات مما يساعد على التمييز بين الأشكال و الصو و الألوان.

5-5/الشعور بالثقة: لممارسة الفن أهمية كبير للأطفال اللذين يميلون للعزلة و الانسحاب و ذلك بسبب ما يترتب على إعاقتهم من إحساس بضعف قدراتهم على التناسق و المشاركة، مماسة الفن تؤدي إلى تنمية شعور الثقة بالنفس(شيماء أحمد عبد الغني، 2012، 625).

6-أهم مجالات توظيف الفن عند اطفال مرضى التوحد:

الفن هو لغة يعبر من خلالها الطفل عن نفسه و مشاعره و آرائه، و من أهم هذه الفنون نجد الفن التشكيلي، حيث يظهر فيه ما يحس به و يحبه، خصوصا إذا توفرت الصحة البيئية الجيدة، فيرسمون و يشكلون عالمهم الخاص، فيبتكرون أشكالا معينة، و من بين مجالات الفن التشكيلي نجد:

6-1 الرسم: يمكن استخدام مواد كثيرة للرسم منها الأقلام الشمعية و دهان الأصابع و الدهان بالفرشاة و الطباشير، حيث يجب التركيز على الرسومات الحرة، لكي يسمح لطفل التوحد بأن يرسم ما يشاء، دون أن يفرض عليه أي نموذج أو موضوع.

6-2 تشكيل المعاجين: المعاجين مواد يتعامل بها الطفل المتوحد مباشرة بيده و حواسه فيشكل و يلعب بيده، و يكتشفها عن طريق حواسه، فيتعرف على ملمسها، خشن او ناعم، فهي تساعد الطفل المتوحد على تشكيل أشكال يبعده عن وقت الفراغ(د.فتيحة الولو و آخرون،147،2011).

6-3 التمزيق و القص و اللصق: إن هذه العملية تساعد على التنسيق الحركي و البصري لأطفال التوحد، حيث يكون في البداية عشوائيا، ثم يبدأ التعامل مع هذه العملية بالتدريج، فيقوم الطفل المتوحد بلصق الأجزاء المختلفة، و يتعرف على خصائصها، و الاغراض التي تتطابق مع بعض.

6-4 دهان الأصابع: هو نشاط يوفر للطفل المتوحد كيفية التعامل مع الألوان السائلة دون حواجز، لكي يتعرف على خواصها و طبيعتها، فيستعملون الأيدي للرسم و التعبير على الأقمشة.

6-5 التشكيل من الخردة: و هنا يستعمل الطفل المتوحد مجموعة من الأشكال و الأشياء عن طريق اللصق و الربط أو الطي.

7-الخاتمة:

حاولت من خلال هذه الدراسة التطرق لمدى تأثير الفن على أطفال مرضى التوحد، و الكشف عن ما يمكن أن يقدمه هذا الفن بمختلف مجالاته للطفل من حيث التعبير الفني و إخراج المكبوتات النفسية .

و من خلال بعض الدرسات السابقة في مجال العلاج بالفن يتبين لنا أن الطفل التوحدي بحاجة إلى ممارسة الفن و اعتباره مادة علاجية، فهو يقوم عى امتصاص طاقته في اتجاه إيجابي و إبعاده عن إيذاء النفس و السلوكيات النمطية المتكرر.

كما يمكن القول أن ليس ممارسة فحسب أو عبارة عن مواهب و إبداعات بل هو مادة علاجية يمكن استخدامها مع ذوي الاحتياجات الخاصة بالعموم، و هذا من أجل إخراج فنانين موهوبين و مساعدتهم على تعديل سلوكهم .

8-قائمة المراجع:

1- أجلال حمد سري، علم النفس العلاجي، عالم الكتاب، مصر، ط2، 2000 .

2- آمنة زايد اللصاصمة، فاعلية برنامج إرشادي جمعي في خفض السلوك العدواني باستخدام الفن لدى طلبة المرحلة الأساسية من (1-4) في منطقة القصر، المجلة العربية للعلوم النفسية، مركز الارشاد الجامعي الدمام، ع42،41، شتاء الربيع، 2014 .

3- بوجلال سعيد، المهارات الاجتماعية و علاقتها بالتفوق الدراسي لدى تلاميذ و تلميذات المرحلة المتوسطة، شهادة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم علم النفس و علوم التربية و الأرطوفيا،2008-2009 .

4- شيماء أحمد عبد الغني، خصائص التعبير الفني لدى أطفال التوحد، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ع76، 2012 .

5- فاتن محمد المومني، قاسم محمد سمور، أثر برنامج إرشادي تجمعي يستند إلى العلاج بالفن في خفض الأكثر قلق و زيادة الرضا عن الحياة لدى كبار السن في دور الرعاية، دراسات العلوم التربوية، مجلد44، عدد2، 2007 .

6- فتيحة اللولو و آخرون، دليل المناهج التعليمية الخاصة بأطفال مرضى التوحد، جمعية الحق في الحياة، فلسطين غزة،دط،2011

7- فهد بن حمد المغلوث، التوحد كيف نفهمه و نتعامل معه؟ مؤسسة الملك خالد الخيرية، الرياض، ط1، 2006 .

8- لطفي الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تدريب العلوم الصحية، الكويت، دت.